

أسبابها هجرة، بطالة، تدهور اقتصادي،  
تغيير العادات، حروب وتهجير وغيرها...

## العنوسة... أزمة حقيقية في لبنان والعالم العربي تداعياتها سلبية وخطيرة

تحقيق: تغريد حامد

تستفحل أزمة العنوسة (مع التحفظ على التسمية) في لبنان لتصل نسبة الفتيات غير المتزوجات الى ٨٥٪ على ذمة الإذاعة الهولندية... الرقم - وهو القياسي عربياً - صارم ومرعب، فكيف مع نسبة طلاق تتعدى ٤٠٪؟! معظم الدول العربية تعاني من هاتين الأزميتين، ما يعني أن الأسرة في مجتمعاتنا باتت مهددة بال... انقراض! ولأن الحل المطروحة هنا وهناك لم تكن مرضية، فقد سعى شباننا الى «الزواج الإلكتروني» عبر المواقع المنتشرة على الشبكة العنكبوتية... فهل تحل الخاطبة الإلكترونية هذه المسألة أم تزيدها تعقيداً؟! وهل زواج «كيفما كان»، أو القبول بـ «ضرة»، ولا كلمة «عانس»؟! إليك هذا التحقيق...

التي تلتها والحروب اللبنانية الإسرائيلية... وما زال الوضع الأمني والاقتصادي المتردي سبباً لهجرة اللبنانيين الى بلاد الله الواسعة. وقد بلغت نسبة الشباب المهاجر بحسب برامج الأمم المتحدة الإنمائية نحو ٣٠٪، في حين أن ٦٥٪ من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٥-٣٥ سنة يسعون أو يفكرون بالهجرة! ومعظم هؤلاء لا إمكانية مادية لديهم تحوّلهم حتى التفكير في الزواج بسبب البطالة والغلاء المستفحل بالنسبة الى مداخيلهم إذا وجدوا عملاً...

### قرار إرادي؟

ثمة أسباب أخرى جديدة متمثلة بارتفاع معدل التعليم لدى الإناث (بالإضافة الى توفيق العددي على الذكور في بعض الدول) وبالتالي انخراطهن في العمل والمجتمع. وقد حقق إنجازات كثيرة في مجالات متعددة، بحيث لم يعد الزواج هو أول أولوياتهن أو الهدف الأوح في حياتهن، ولم يعد «ظل رجل ولا ظل حيطه» مقنعاً لهن ليقدمن من أجله التنازلات!

طبعاً يختلف الأمر من بلد لآخر ومن المدن الى الريف.... كما في بلدان غربية حيث المجتمعات المنفتحة. ففي لبنان مثلاً للمرأة طموحات تسعى إليها مؤجلة فكرة الزواج... تحقيق الذات والاستقلالية أمر له أولوية في حياة ابنة المدن، فالعنوسة تغير مفهومها كما غيرت نظرة المجتمع الى فتاة تجاوزت الثلاثين من عمرها دون زواج. فكيف تكون «عانس» من حازت علوماً عالية وأثبتت وجودها في المجتمع والعمل؟! تقول د. رجاء مكي (نفس اجتماعي) إن «تأخر سن الزواج لدى الفتاة اللبنانية هو «قرار إرادي». هكذا بينت دراسة أجريت حول مؤشرات العنف الزوجي، فقد أثبتت ذاتها وتحولت «كما حدث مع كثيرات»، الى معيلة لعائلتها نتيجة لهجرة الشباب. وهذا ما أكسبها وعياً سياسياً بل وحياتياً عموماً وغير لديها مفاهيم الزواج والعنوسة التقليدية وأموراً أخرى...!

٨٥٪ من فتياتنا اللبنانيات اللواتي في عمر الزواج لا يجدن العرسان! هذه الحقيقة المذهلة نتيجة دراسة أجرتها هولندا استناداً الى إحصاءات مراكز الأبحاث والمعطيات الخاصة بالمنظمات غير الحكومية! ما يعني أن المتزوجات هن فقط ١٥٪... هي أزمة عرسان جدية تجعل من الحلم الرومنسي لكل صبية أمراً ليس من السهل تحقيقه! وقد سبب تأخر سن الزواج (٣١ للإناث و٣٥ للذكور) حالة من القلق لدى كثيرات وخشية من «عنوسة» على قاب قوسين أو أدنى!

«العنوسة»، إذا جاز التعبير، لا تقتصر على فتيات لبنان... فالظاهرة هذه منتشرة في جميع البلدان العربية تقريباً وإن كان بلدنا يحتل الصدارة، تليه سوريا حيث تصل نسبتها الى ٧٥٪ مرشحة للارتفاع، والإمارات أيضاً ٧٥٪ ودول المغرب متقاربة: ٦٢٪ تونس، تليها الجزائر ٥٥٪، مصر ٤٥٪، السعودية ٤٥٪ (١٣ مليون عانس بين شاب وفتاة تجاوزت أعمارهم ٣٥ سنة)، في الكويت ٣٥٪ وفي اليمن تشدّ أزمة العنوسة خصوصاً بين الجامعيات والناشطات في الحياة. وتشير بعض الأرقام المتاحة الى أن ثلث الفتيات في العالم العربي بلغن الثلاثين من العمر بدون زواج! فخلال العقد الماضي تضاعف معدل العنوسة في معظم البلدان العربية مرات ومرات بين الفتيات وحتى بين الرجال، ما أثار قلقاً اجتماعياً ودينياً لما له من تداعيات على مختلف الصعد...

الأسباب متعددة، منها ما هو مشترك ومنها ما يعود الى ظروف كل بلد وخصوصيته. ثمة بلدان يزيد فيها عدد الإناث على عدد الذكور بحسب إحصائياتها وبحسب تقارير الأمم المتحدة، مثل بعض دول الخليج العربي كالكويت، وتونس ولبنان ومصر أيضاً... الأسباب الأخرى المشتركة هي البطالة وغلاء كل من المعيشة والسكن والمهور، والتكاليف الباهظة التي تفرضها العادات والتقاليد، ما يجعل الشاب يحجم عن الزواج أو يؤجله.

في لبنان بدأت الأزمة أثناء الحرب الأهلية وتفاقت أثناء النزاعات



أظهرت دراسة حديثة أن أكثر من ثلث الأميركيين الذين تزوجوا منذ العام ٢٠٠٥ عبر الإنترنت، يبقون معاً لفترة أطول بقليل من أولئك الذين يتعرفون عبر الطرق التقليدية. وبيّنت الدراسة أن ٦٪ من زيجات الإنترنت انتهت بانفصال، مقابل ٧,٦٪ للزيجات الأخرى، وأن نسبة الرضا لدى أزواج الإنترنت تبلغ ٥,٦٤٪، مقابل ٥,٤٨٪ للآخرين.

بحسب إحصائيات في بريطانيا، بلغت نسبة الزيجات الجديدة التي تمّت عبر الإنترنت ٢٠٪. والعلماء يتوقعون أن المسنين بين ٥٥ و ٦٤ من العمر هم أكثر من سيستفيد من خدمات التعرف على شركاء الحياة بواسطة الإنترنت، وستزداد حصتهم بنسبة ٣٠٪. أي من ١,٨٧ مليون عام ٢٠١٣ لتصل إلى ٢,٤١ مليون شخص في العام ٢٠٣٠.

### أنا عازبة ولست «عانس»

... وميرنا خير مثال على ذلك. الصبية التي تحطت الثلاثين من عمرها ببضع سنوات، محامية بارعة تعمل في مكتب محاماة معروف، وناشطة في إحدى الجمعيات الأهلية. جميلة مثقفة و... عازبة. «نعم أنا عازبة ولست «عانس». أرفض هذه التسمية الكئيبة التي لا توحى سوى بالعقد النفسية والغيرة والحقد و... لم أتزوج بعد لأنني لم ألتق بالرجل المناسب، ولم أشأ الزواج مجرد الزواج، هذا كل ما في الأمر. وبالنسبة إليّ يمكن أن أتزوج وأنا في الخمسين. المهم أن يكون الرجل المناسب!»

مثلها نايا «الأنسة» التي تخطت السادسة والثلاثين من عمرها وتعمل في إحدى الصحف المحلية، تمازحني حين أسألها عن سبب عدم زواجها حتى هذه السن، فتقول: «ماذا أفعل؟ في لبنان توجد ٥ نساء مقابل كل رجل. هذا ما قرأته في الصحف. يعني عليّ أن أشارك مع ٤ نساء في رجل واحد. وبعملية حسابية بسيطة ستكون حصتي فيه الخمس (٥/١) وهذا ما لا أقبله أبداً» تضحك نايا طويلاً «ما في رجال بالبلد. فهم إما مهاجرون أو متزوجون أو مثليون أو مفلسون ما حيلتهم حيلة».

نايا تتمنّع بكلمة «عانس»، ترددها ضاحكة كأنها تتفحصها لترى ما إذا كانت ملائمة لها: «بالمفهوم القديم أنا عانس، لكنها كلمة لا تعنيني أبداً. قديماً كانت العانس فتاة كبرت في السن من دون أن تعرف رجلاً، يعني كان الرجل حسرة بقلبها، وهذه الحسرة كثيراً ما كانت تسود عيشتها وعيشة كل من حولها. اليوم البنت تحب و«تصاحب» وتعمل وتعيش حياتها، وليست على الهامش بانتظار رجل يدق بابها فتتزوج لتستتر أولاً وأخيراً!».

نايا صحافية ديناميكية تسافر كثيراً في بلاد الله الواسعة بداعي العمل. وهي تتمنى أن تلتقي بـ «زوج المستقبل في أحد المطارات» في بلد ما، لأن الأمل في أن تجده في لبنان «ضعيف جداً»...

### فوبيا العنوسة والزواج

صحيح نايا وميرنا لا تعيشان فوبيا العنوسة والزواج، لكن أياً منهما لم تنكر أنها تتمنى العثور على العريس المناسب الذي يمكن أن تبني معه أسرة سعيدة. فالزواج في المحصلة غير مرفوض منهما ولا مكروه لكنه غير متوفر. وهما إذ تمثلان شريحة كبيرة في المجتمع اللبناني، فإن في المقابل فتيات تورقهن هذه الفوبيا الى حد بعيد.



وليل واحدة منهن. الصبية (٢٣ سنة) جميلة ومتأنقة دائماً لا تألو جهداً في إظهار مفاصلها ورعاية جمالها والسعي الى اصطياح عريس دسم وعلى «قد خاطرها»... حين دخلت الجامعة (أعلى جامعات بيروت) كانت تضع هذا الهدف نصب عينها، لكن سهامها خابت وما زالت خائبة حتى اليوم. كل مسعاها لم يفلح سوى جعلها «صيدياً» لشبان استغلوا لهفتها الى الزواج فأقاموا معها علاقات غرامية تسببت لها بالإساءة والأذى... ليل ليست الضحية الوحيدة لـ «فوبيا الزواج» لدى البنات، بل كثيرات يقعن ضحايا لشبان ينتهزون عدم التكافؤ العددي لهذه الغاية، وقد يسعون الى مكتسبات مادية عن طريق الزواج. «فالمنافسة قوية والعرض أقل من الطلب بكثير!».

نادر شاب وسيم وموظف في إحدى الشركات. زميلات له في عمر الزواج وجدنه عريساً جذاباً، وعملت كل منهن لتحقيق ذلك والمنافسة كانت حامية بينهن. أما هو فكان المستفيد الأكبر، فبعد «تكتكة» عليهن مسلية، أحسن اختيار عروسه من بينهن. ابنة وحيدة لرجل مغترب ميسور أمن لابنته الشقة و«العفش» ورصيدياً في البنك أيضاً!

### تحذير

إنها إحدى انعكاسات الأزمة. أزمة العنوسة أو تأخر سن الزواج أو تراجع معدله. ثمة تداعيات سلبية وظواهر غير مقبولة اجتماعياً ودينياً، فقد ازدهرت زواجات سرية مثل العرفي (خصوصاً في مصر) والمسيار وغيرها، كما انتشرت علاقات خارج إطار الزواج وأخسرى مثلية (شذوذ جنسي)، ناهيك بالعودة بقوة الى تشجيع تعدد

يقول ميشيل بوزان، وهو عالم اجتماع فرنسي معروف: «إن المسلمين أكثر انخراطاً في المواقع الإلكترونية للزواج من غيرهم. واستخدام الإنترنت يجعل توسيع المساحة الجغرافية ممكناً للتعرف والهروب من مراقبة الأهل، خصوصاً في بيئات تمنع المرأة من لقاء الرجل في الفضاء العام».

كما انتشرت علاقات خارج إطار الزواج وأخسرى مثلية (شذوذ جنسي)، ناهيك بالعودة بقوة الى تشجيع تعدد

الزوجات الذي يراه كثر حلاً جيداً للأزمة بين المقتردين... إذ كيف السبيل الى معالجة حاجات كل من الطرفين الجنسية؟ وماذا عن تأخر سن الإنجاب وما قد ينتج عنه من مشاكل؟! هي مسألة تندر بتغييرات اجتماعية وتبدل في منظومة القيم في مجتمعاتنا الشرقية... وقد حذرت دراسة عربية أجريت، من تزايد العنوسة في العالم العربي. نتيجة لتحولات اقتصادية واجتماعية. وانعكاسه على مستوى الخصوبة. هذه الدراسة «واقع العنوسة في العالم العربي» أشارت الى أن نسبة كبيرة من النساء المتزوجات ممن هن تحت سن الخمسين شارفن على نهاية خصوبتهن وقد تأخرن في الزواج الى ما بعد الثلاثين من العمر، وأن نسبة هؤلاء من بين النساء المتزوجات في سن الإنجاب تصل الى ٤١٪!

من تداعيات هذا الأمر على الصعيد اللبناني اختلال الميزان العمري نتيجة انخفاض الإنجاب، وبالتالي عدد الأطفال، ما يؤدي الى مجتمع لبناني كهل بعد أقل من أربعة عقود!

### الزواج الإلكتروني

بحجة تدارك الأزمة برز أكثر من «حل استثماري»... الخاطبة، وهي حل قديم كان ملائماً للحياة في الزمن الماضي، عادت متجددة ومتطورة. فقد انتشرت مكاتب الزواج في البلدان العربية، كما ازدهرت مواقع إلكترونية على الشبكة العنكبوتية مهمتها العثور على الشريك المناسب. وثمة أكثر من دليل خاطبات ودليل مكاتب زواج (حيث أكثر من ٦٥ خاطبة ومكتب زواج كما يعلن أحد المواقع لتسريع الأمر). مثل هذه المكاتب موجودة في أوروبا بين عرب المهجر، مثل «شاي بالنعناع» و«اليكا» في فرنسا، كما تكثر المواقع لهذه الغاية (أكبر موقع زواج عربي أميركي مجاني: زواج تعارف صداقة «أي لاف يو»...) كما يعلن أحدها. واللافت أن هذه المواقع تتنامى كالفطر لما تلقاه من إقبال شديد من الناس، ما يوضح مدى الحاجة إليها! ومنها مواقع عالمية وعربية وإسلامية ومسيحية... وجميعها تعد زائرهما بالعثور عليه: الشريك المفقود!

الغريب أن من بين هذه المواقع ما هو متخصص بالزواج العرفي أو المسيار أو التعددي... أي للمرة الثانية أو الرابعة. كما أن ثمة منها ما يعد بالحب مثل «يا غرامي» (وهو موقع لبناني) وبالواعدة و«الشات»، فقد جاء في الإعلان عنه «ستجد الحب بنقرة واحدة فقط. اشترك وسوف نساعدك على إيجاد الحب الحقيقي والزواج...»! وهي وإن ادعى بعضها بأنه مجاني، جميعها تجارية، إذ ما إن تستوفي المعلومات المطلوبة: طول ولون البشرة والعينين والجنسية والطائفة و... حتى تتحول تلقائياً الى الدفع: ٢٠ دولاراً فتح ملف تُدفع بالبطاقة الإلكترونية، على أن تُستكمل الدفعات الأخرى عند كل طلب لرقم شخص أو حسابه الإلكتروني. ومنها ما يكلف ١٠٠ دولار منها ما يصل الى نحو ١٠٠٠ ريال سنوياً وربما أكثر في مواقع أخرى...

### جولة على المواقع

في جولة سريعة على هذه المواقع (التي كثيراً ما تعترضنا على مواقع التواصل الاجتماعي) تشعّر بالتسلية، تبتسم أثناء مرورك على أشياء طريفة. وحين تستبد بك الحشرية حول أحدها، تضغط على الرابط المرفق بالإعلان وتسجل دخولك كما فعلت أنا. نساء ورجال من أعمار مختلفة ومن جنسيات أجنبية وعربية ولبنانية أيضاً... جميعهم لديهم

### رأي علم الاجتماع

## العنوسة تصل إلى ٨٥ بالمئة!!

□ وفق دراسة أجرتها إذاعة هولندا، استناداً إلى مراكز الأبحاث غير الحكومية، ارتفعت نسبة العنوسة في لبنان إلى ٨٥٪. ما هي الأسباب؟

. سن العنوسة يعني بلوغ سن صعوبة الزواج، وهذا الأمر يطال الجنسين. وتختلف الأسباب من بلد إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر أيضاً داخل البلد الواحد، وبذلك لا يمكن نسب هذه النسبة، في حال كانت دقيقة، بالتساوي على مساحة لبنان. توجد أسباب مباشرة وواضحة للعلن، تنتج عنها أسباب غير مباشرة، وكلها تساهم في تفشي هذه الظاهرة، أبرزها:

1. التدهور الاقتصادي: هو المحفز رقم واحد للعدول عن الزواج، لما يعنيه من تقشف مادي وضغط نفسي وثقل اجتماعي.
2. تبعات الهجرة: حين يعيش الفرد في الخارج لفترة طويلة، ترتفع إمكانية زواجه من أجنبي فيخسر الوطن عائلات شابة، ويتمّ القبول بعادات مغايرة.
3. طلباً للعلم: وهذا ما ينطبق حالياً على الإناث قبل الذكور، كما أن الوظائف تتطلب شهادات والشهادات ستكلف سنوات. ومن نتائجه حكماً تأخر بقرار الارتباط، تأقلم مع قواعد العزوبية، حياة ذات مسؤولية أقل، والاعتياذ على استقلالية أكبر...
4. تغيير التقاليد: الجيل الجديد عنده مرونة في علاقاته والكبت لم يعد مسيطراً. تعدد الزوجات لم يعد كما السابق. جيل لديه محاربة للزواج المبكر وعدم التزام بالترتيب العمري عند زواج الأخوات...
5. استقلالية المرأة: طلب المساواة لم يأت من فراغ، فهي لم تعد تتزوج ليعيلها الزوج من بعد الأب بل هي أثبتت قدراتها.

رغبة في التعارف والزواج ولكل منهم مواصفات وضعها للشريك... لا أعرف على أي حال إن كانت هذه المواصفات: دلوعة وحنونة وجذابة وشعري أسود كافية حتى لو مبدئياً لشريك قد تمضي معه الحياة كلها! لكن من المؤكد أن ثمة من تزوجوا، تعارفوا على أحد هذه المواقع ومنهم من نجحت زيجاتهم ومنهم من أخفقت... ولجأوا الى الطلاق بعد مشاكل نشبت بينهم...

### هل هي مصيدة؟!

«هذه المشاكل تحدث في أي زواج» تقول شيرين (٢٨ سنة)، وفي جميع الزيجات شبح الطلاق موجود. التعارف على أحد هذه المواقع ينبغي أن يتعمق و«يأخذ وقته»، إن كان على الإنترنت أو بأي طريقة. يمكن للثنائي اللقاء والتأكد من الآخر. فإذا ارتضى كل منهما بالآخر «عال» وإلا فليذهب في حال سبيله. وللمناسبة نسبة مرتفعة من زيجات الغرب تتمّ اليوم عن طريق الإنترنت... مش غلط! في لبنان لقاء الجنسين سهل وعادي عموماً، لكن في المجتمعات العربية الضيقة «فضاء الإنترنت» هو الأكثر ملاءمةً. فهو، بالإضافة الى الحفاظ على سرية «طلب الزواج»، فإنه يزيل عامل الخجل. غير أن هذه المواقع كثيراً ما تكون «مصيدة» ليس إلا، خصوصاً غير



ميرنا زخرياً  
باحثة في علم الاجتماع السياسي  
ماجستير علم نفس وماجستير إدارة أعمال

6. ضمانات رسمية: على الحكومة تأمين حقوق المواطن الأساسية كالطباية والدراسة والشيخوخة، إضافة الى رواتب عادلة.

من نتائجها: لا حل لأزمة المساكن، ضيق خانق في فرص العمل، إلزامية خروج الإناث للعمل، تأخر في سن الزواج...

7. تطرف علائقي: من نتائجه تضائل عقود الزواج بين أفراد من طوائف ومناطق وأحزاب مختلفة، رفض للآخر، إطلاق أحكام مسبقة... والمسؤول الأساسي هو السياسي.

لا بد من وضع خطة لمعالجة ما تقدم، وإلا فإن عزوف الشباب عن الزواج سيؤدي بعد سنوات عدة إلى أزمة حقيقية.

□ مواقع التعارف الإلكتروني أخذت مكان الأهل والخطابة وهي في تزايد مستمر، ما تفسير ذلك؟

. مجرد البحث عن شريك على الإنترنت يؤكد أنه لا يوجد قرار بالعزوف عن الزواج، إنما كما ذكرنا فالسبب الرئيس يعود للحالة الاقتصادية وليس للقرار الشخصي، لذا وجب التمييز بين العنوسة الإجبارية الإرادية وتلك الاختيارية الإرادية. أما تفسير ذلك، فمن البديهي أن تنشط هذه المواقع في ظل: أولاً، التدني الصادم لمعدل الزواج، وثانياً، الربح الذي يجنيه صاحب الوكالة.

والإقبال يعود إلى: سهولة المحاولة، ضعف الرقابة، إذ قد يدون الواحد معلومات جذابة ولا أحد يتحقق منها، غياب الالتزام، سرية التعارف، تكرار المحاولة ما دامت الاحتمالات تفوق التخيل فلا خوف من الفشل، ضيق الوقت والراحة النفسية، إذ إن إمكانية نجاح العلاقة موجودة حتى وإن كانت محدودة. ومهما كانت معلومات المواقع صادقة، لا يمكنها أن تنطرق إلى النواحي الأخلاقية، ما يعيدنا نوعاً ما إلى الأسلوب التقليدي.

المرخص منها. وتُروى حكايات عديدة تصورّ محاذير تصديق هذه المواقع. فمثلاً دراسة أعدتها إدارة مكافحة الجرائم الإلكترونية في الإدارة العامة للتحريات والمباحث الإلكترونية لشرطة دبي، فضحت حقيقة بعض المواقع. فقد سجّلت فتيات وقعن ضحية لها بلاغات ضدها، وتبين أنها كانت ستاراً لدعارة تحرّض عليها من أجل كسب المال. كذلك فإن بعض «الزبائن» يستغلون الفتيات عبر هذه المواقع لإقامة علاقات غير مشروعة بحجة الزواج، وقد تمّ ضبط عدد من هذه القضايا المؤسفة...

إحصائيات سريعة للفتيات المتقدمات للزواج، في موقع واحد، بلغ حوالي ١٥٠ ألف فتاة (كما أعلن مديره)، فهل لكم أن تقدروا كم يمكن أن تكون أعدادهن في جميع المواقع... وبالتالي كم هو حجم الأزمة؟!

ماذا بعد؟!... صحيح أن العنوسة في لبنان لم تعد تحمل المعنى أو المفهوم عينه، وأن بعض أسبابها إرادي بفعل الاستقلالية والتحرر ولكن... هي مسألة تحتاج الى حل ملح هو بيد الدولة العلية... التي ليس مطلوباً منها تزويج شبابها وإنما تسهيل أمورهم ومعيشتهم وإلا فإن مجتمعاً كهلاً بعد ٤٠ سنة هو بالمرصاد!